

نقد تاريخ المدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٥

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وأنه قرأ من كتب الله ٧٢ كتاباً ثم قال « فكان للعرب ثقة كبرى فيه » وقال بهد ذلك فكانت كتب التفسير في القرون الأولى محشوة بالأخبار وفيها الفث والسمن بما نقل إليها من الأديان الأخرى فانظر كيف يناقض المؤلف نفسه ! فقال:

« فنشأ في اعتقادهم أنه لا ينبغي أن يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن - فوسخ في الأذهان أنه لا ينبغي أن ينظر في كتاب غير القرآن - فتوطدت الزائم على الاكتفاء به (أي القرآن) عن كل كتاب سواه وهو ما كان قبله من كتب العلم » ويقول الآن : ان كتب التفسير في القرون الأولى محشوة بالأخبار مما نقل إليها من الأديان الأخرى وأنه كان للعرب ثقة كبرى في وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلأت من منقولات أهل الكتاب « فلو كان أهل القرون الأولى يفضون ماسوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيليات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها في التفسير ؟ ولما كانت المسألة موضع زيادة تفصيل تزيدك توضيحاً وتفصيلاً

كان لمدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذي كان ملازماً للنبي عليه السلام منقطعاً الى الرواية - لم يدانه احد في كثرة الرواية - كان مشغوفاً بقراءة التوراة ودرسها، قال الملامة الذهبي في طبقات الحفاظ في ترجمته « عن ابي رافع عن ابي هريرة انه لقي كعباً - وهو حبر لليهود - فجبل يحده ويسأله فقال كعب : ما رأيت احداً لم يقرأ التوراة اعلم بما فيها من ابي هريرة »

ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح ، قال الذهبي في

طبقات الحفاظ « كان من أيام النبي صواماً قواماً تالياً الكتاب الله طلبة للعلم كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كبيراً وكان اصحاب جملة من كتب اهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى فيها عجائب »

ومنه عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبي وفيه ورد قوله تعالى « ومن عنده علم الكتاب » قل الذهبي بعد ذكر فضائله وكونه طم أهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قرأت القرآن والتوراة فقال اقرأ هذا ليله وهذا ليله ، فهذا ان صح في الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها ،

ومنه كعب الاحبار كان من كبار أهل الكتاب ، اسلم في زمن ابي بكر ، قال الذهبي « قدم من اليمن في دولة امير المؤمنين عمر فأخذ منه الصحابة وغيرهم وأخذ هو من الكتاب والسنة عن اصحابه » فهذا كانه نصريح في ان الصحابة أخذوا منه علم اهل الكتاب ،

ومنه وهب بن منبه قال الذهبي في ترجمته « وعنده من اهل الكتاب شيء كثير فانه صرف عنايته الى ذلك ، وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الاحبار في زمانه ، » وعن وهب قال : يقولون عبد الله بن سلام اعلم أهل زمانه وكعب اعلم أهل زمانه » فهل بعد كل هذا يصح قول المؤلف ، ان الصحابة ومن يليهم كانوا يقولون انه لا ينبغي ان يقرأ كتاب غير القرآن وسحوا ما كان قبلهم من العلم ؟ عياذا بالله ، قال المؤلف « تانياً جاء في تاريخ مختصر الدول لابي الفرج - ثم نقل رواية الاحراق برمتها واطال في اثبات ان ابا الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضاً في ذكره عمود السواري وذكرها القفطي في تاريخ الحكماء » لانتازع المؤلف في ان ابا الفرج مسبق في ذكر هذه الرواية بالقفطي والبغدادي ولكن ماذا ينفعه ذلك ؟ فان البغدادي وهو أقدمها من اهل القرن السادس للهجرة وذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب

تعود المؤلف من صباه قبول مختلفات أهل الكتاب وأصحابهم فسيب ذلك انه يزن التاريخ الاسلامي بيزان غير ميزاننا ولذلك يصفي الى كل صوت ويستمع لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن له أصول ومبادئ وقواعد وما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها أصلاً منها ان الناقل للرواية لا بد ان يكون شهد الواقعة فان لم يشهد فليس سند الرواية ومصدرها حتى تصل الرواية الى من شهدها بنفسه

ومنها ان يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ، ومنها ان لا تكون الرواية تخالف الدرابة ومجاري الاحوال ، ولذلك اهم مؤرخو الاسلام قبل كل شيء بضبط اسماء الرجال والبحث عن سيرهم واحوالهم وديانتهم وعلمهم من الصدق فدوتوا كتب اسماء الرجال وكابدوا في ذلك حنة يضيق عنها النطاق البشري فصلوا كتابا غير محصورة منها الكامل لابن عدي والفتاة لابن حبان وتهذيب السجال للمزي وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولاين ما كولاوان عبد البر ولاين الاثر ولاين حجر وتهذيب الاسماء للتوي وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر

وتجد كتب القدماء من مؤرخي الاسلام كلها أو أكثرها كتابخ البخاري وصيرة ابن اسحاق وتاريخ الطبري وابن قتيبة وغيره سلسلة الاسناد مينة الاسماء ليتمكن قد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها

فأول شيء يفتا في هذا البحث ان نرى : هل ذكر الفقطي والبغدادى هذه الرواية مسنفة وذكرا مصدر الرواية واسماء رواها أم لا ؟

وأنت تعلم أن البغدادى والفقطي من رجال القرن السادس والسابع فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سند ولا رواية ولا احالة على كتاب ؟ أما كتب القدماء الموثوق بها فليس هذه الرواية فيها أثر ولا عين ، هذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمازني لابن قتيبة والخبار الطوال للديوري وقروح البلدان للبلاذري والتاريخ الصغير للبخاري وثقة ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وكورنا النظر فيها ومع ان فتح الاسكندرية مذكور فيها بعضها وتضيضا فليس لحريق الخزانة فيها ذكر

وعلاوة على ذلك قال في فتح مصر كتابا مختصة بذلك مثل خطط مصر للكندي وكشف المالك لابن شاهين وتاريخ مصر لمد الرحمن الصوفي وتاريخ مصر لابن بركات النحوي وتاريخ مصر لحمد بن عبد الله وغيرها مما ذكرها صاحب كشف الظنون ، والمقرزي جمع وأوعى كل ذلك ولم يترك رواية ولا خبراً يتعلق بمصر الا وذكروه عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند ذكر فتح الاسكندرية

قال المؤلف

« وأما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلا يد له من سبب والتالي أهم

ذكرها ثم حذف بعد نضج البدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفة
قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه أو نزل
لذلك سبباً آخر الخ « (الجزء الثالث صفحة ٤٤ و ٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام من مثل المؤلف ، وكيف يقدر ديانة مؤرخي
الاسلام وشدهم في تحري الصدق وتزاهتهم عن التغير والتحريف وبراءة ساحتهم
عن الحذف والاسقاط ، من صارت غريزته تمسد الكذب والتحريف والحيانة والمحو
والابنات ؟

قال المؤلف « ثانياً ورد في اما كن كثيرة من تواريخ المسلمين ، خبر احراق
مكاتب فارس وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون « الخ (الجزء
الثالث صفحة ٤٥)

انظر الى هذا الكذب القاحل والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكر
ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر
ناقل او مؤرخ - وصاحبنا يقول : انه ورد في اما كن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر
احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون ، فان الاما كن الكثيره وابن
التلخيص ؟ !

اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضاً وطفلاً وكذلك قول ابن
خلدون . وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما
ذكر ابن خلدون فتح مصر والاسكندرية وهو المنظمة لذكر هذه الواقعة لم يقوه بهذه
الرواية اصلاً ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال القرن الثامن
وبعد فما لم يذكر من اين أخذوا هذه الرواية لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها ،
قال المؤلف « رابعاً ان احراق الكتب كان شائناً في تلك العصور كما

فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية « الخ (الجزء الثالث صفحة ٤٥)
باللهج ! عبد الله ابن طاهر من قواد المأمون ومن رجال الادب وهذا العصر
يماز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت للدولة ورجال حاشيتها وغيرهم عناية كبرى
بكتب الاوائل وكانوا يستجلبون الكتب من فارس وبلاد الروم وغيرها - ومجد
تفاصيل ذلك في فهرست بن النديم وطبقات الاطباء واخبار الحكاه وغيرها ، فكيف
يموت على هذه الرواية التي ما ذكرها احد من قاعة المؤرخين وانما استمد المؤلف
« براون المعلم الانكليزي » وهو نقلها من تذكرة « دولت شاه » وهو كتاب جامع

لكل غث وسمين ، ولو صح قلها لكانت على سبيل التدرة والشذوذ ، فهل يصح قول المؤلف « ان احراق الكتب كان شائناً في تلك المصور » ؟

قال المؤلف « خامساً ، ان انحباب الاديان في تلك المصور كانوا يعدون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تأييد الاديان الجديدة » (ثم ذكر في تأييد ذلك عمل امبراطرة الروم واحراق كتب المتوفية) ج ٣ ص ٤٦ نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم ، ثم ان المسألة ليست قياسية فإلم ثبت بالرواية لا يفهم مجرد القياس ،

قال المؤلف « سادساً : في تاريخ الاسلام جماعة من أئمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم » (ثم ذكر بعض الحوادث في تأييد ذلك) ج ٣ ص ٤٦ عجباً لئله هذا الاستدلال ! فان امره يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واي حجة في ذلك لاحراق كتب اقوام اخر ؟

ان هذه القياسات الواهية لا تفني شيئاً ولكن لو اردنا ان نستشفى في ذلك البحث بالقياس والامارات فقلنا ان ننظر ما كان صنيع الخلفاء الراشدين باثار اهل الذمة ومعابدهم وكنائسهم وامتقنهم وخزائنيهم ، ان الاصل في ذلك عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لاهل نجران وقد ذكره القاضي ابو يوسف في كتاب الخراج بحروفه

« ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على اموالهم واتقنهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيتهم وكل ما تحت ايديهم من قليل أو كثير ، (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ٤١)

فكان هذا العهد هو المدة للصحة لعضوا عليه بالتواجد وتجد في كل عهد الخلفاء الراشدين كعهد نجران ومصر والشام والجزيرة ان هذا الاصل أي ذمة الله ورسوله على أرضهم وكل ما تحت ايديهم من قليل أو كثير محفوظ باق على حاله الاصلية وعهد مصر هو هذا

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الامان على اتقنهم وديارهم واموالهم وصاعهم ومدنهم وعددهم »

وذكر في معجم البلدان رواية بزيادة « ان لم أرضهم واموالهم لا يتعرضون في شيء منها » وانت تعلم ما لصر الفاروق من العناية والشدة في وقاه العهد باهل الذمة وغيرهم ومع عهده باهم لا يتعرضون في شيء من اموالهم وكل ما تحت ايديهم

كيف كان يمرض خزانة كتبهم التي هي من انفس ذخائرهم واغلاها ؟
 اعلم ان مسألة احراق خزانة الاسكندرية موضوع مهم عند اهل أوروبا وقد اشكال
 البحث فيه اثباتاً ونهياً وعن ألم بهذا البحث اجمالاً وتفصيلاً المعلم (وايت) والمعلم
 (دماسي) الفرنسي في ترجمة كتاب الافادة والاعتبار (واشنكنين انونك) و (دربير)
 الاميركاني صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين و كرجين وسيدو الفاضل الشهير
 الفرنسي في تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسي في خطبه الاسلام
 والمعلم (اورتكينين) ، والمعلم (كريل) الالمانى رسالة مستقلة في هذا البحث قدمها في
 المؤتمر الشرقي الذي انعقد سنة ١٨٧٨ م أورد فيها كل ما كتب الباحثون في هذا
 البحث نفيّاً أو اثباتاً وقد طالعت كل هذه المباحث والمقالات وعملت رسالة في
 اللسان الاردني وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها أحد اهل الشام وطبع
 شطر منها في جريدة ثمرات الفنون . ومجلة المقيس .

والحاصل ان محققي اهل أوروبا قضوا بان الواقعة غير ثابتة أصلاً منهم (حين)
 المؤرخ الشهير الانكليزي ودرويز الاميركاني وسيدو الفرنسي وكريل الالمانى والمعلم
 رينان الفرنسي . عمدتهم في انكار ذلك امران الاول ان الواقعة ليس لها عين ولا
 أثر في كتب التاريخ الموثوق بها كالطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرها مما صر
 ذكرها وأول من ذكرها عبد اللطيف البغدادي والتفطلي وهما من رجال القرن
 السادس والسابع ولم يذكرها مصدراً للرواية ولا سنداً . والثاني ان الخزانة كانت
 ضاعت قبل الاسلام أثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن انكارها
 قال المؤلف .

« قلنا فيما تقدم ان الخلفاء الراشدين كانوا يخافون الحضارة على العرب
 ولذلك منعوا من تدوين الكتب وكان هذا الاعتقاد قاشياً في الصحابة
 والتابعين وتمسك به جماعة من كبارهم وكانوا اذا سئلوا تدوين علمهم ابوا واستكفوا »
 الخ (الجزء الثالث صفحة ٥٠)

أطال المؤلف ونقل أقوالاً عديدة في اثبات ان الخلفاء الراشدين والصحابة
 كانوا يمنعون الناس عن الكتابة والتأليف ونحن لا نكرر ان هذا كان مذهباً
 ابض الصحابة والتابعين ولكن الذين رخصوا في ذلك وأمروا بالكتابة والتدوين
 اكثرهم عدداً وأرجحهم ميزاناً وأوسعهم تفوذاً وقد عقد الحديث المشهور القاضي
 ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم (انظر صفحة ٣٦ طبع مصر) باباً في اثبات

ذلك ونحن نقتل شطراً منه قال « وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتاب وعن عبد الملك بن صفيان عن عمه انه سمع عمر بن الخطاب يقول قيدوا العلم بالكتاب وعن معن قال اخرج الى عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي انه خطأ فيه يده وعن أبي بكر قال سمعت الضحاك يقول اذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط وعن سعيد بن جبيرة انه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فاذا نزل نسخه وعن ابي قلابة قال الكتاب أحب الينا من النسيان وعن أبي مليح قال يبيون علينا الكتاب وقد قال الله «علماء عند ربي في كتاب» وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أقيد العلم؟ قال «قيد العلم» قال عطاء قلت وما قيد العلم؟ قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الداروردي قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب ، وعن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتجج اليه علمت أنه أعلم الناس ، وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالماً، وعن محمد بن علي قال سمعت خالد بن خديش البغدادي قال ودعت مالك بن انس فقالت يا أبا عبد الله اوصني قال : عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند الله، وعن الحسن أنه كان لا يرى بكتاب العلم بأساً وقد كان املئ التفسير فسكتب وعن الاعشى قال قال الحسن ان لنا كتباً تماهدنا وقال الخليل بن احمد : اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك للنفقة، وعن هام بن عمرو عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول: وددت لو ان ضدي كتبي باهلي ومالي، وعن سليمان بن موسى قال: يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك طاب ليل - ورجل لا يكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم، ورجل ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم ، وعن اسحاق بن منصور قال قلت لاحمد بن حنبل : من كره كتابة العلم؟ قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له : لو لم يكتب العلم لذهب قال : نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن؟ قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء، وعن حاتم الفاخري - وكان ثقة - قال سمعت صفيان الثوري يقول : اني أحب ان اكتب الحديث على ثلاثة أوجه: حديث اكتبه أريد ان اتخذه ديناً، وحديث رجل اكتبه فلو فقهه لا أطرحه ولا أدن به، وحديث رجل ضعيف أحب ان اعرفه ولا أعاب به . وقال الاوزاعي : تعلم ما لا يؤخذ به كما تعلم ما يؤخذ به وعن سعد بن ابراهيم

قال : أسرنا عمر بن عبد العزيز بجميع اليمن فكاتبناها دقراً فبعث الى كل أرض له عليها سامعان دقراً، وعن أبي زرعة قال سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان : كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الفلظ وعن الزهري قال كنا نذكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء قرأنا ان لا نعلمه أحداً من المسلمين، وذكروا المبرد قال قال الحليل بن أحمد ما سمعت شيئاً الا كتبه ولا كتبه الا حفظه ولا حفظه الا تفتني

﴿ الضبط على أهل الذمة ﴾

أدعى المؤلف ان عمر بن الخطاب كتب عهداً لنصارى الشام وذكروا قصه منقولاً عن سراج الملوک لظاهر طوشي واعترف بان فيه ضبطاً على النصارى ثم اعذر لهم بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قبصر الروم وكانوا من بغائته يجسمون له فلذلك اخرج الى الذمة بهم والتضييق عليهم

كل من له أدنى مسكة في التاريخ يعرف ان الطرطوشي ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب أدب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما الاول في هذا البحث على المصادر القديمة الموثوق بها كتاريخ الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن الاثير وغيرها، وهذا ما كان ينبغي على المؤلف واسكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتثبت برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باستنادها ورجالها، قال القاضي ابو يوسف وهو - مع كونه من رجال الفقه - عارف بالفارسي والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه أدنى ضبط عليهم ولا شدة بهم

« فلما رأى أهل الذمة وفاة المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على أعدائهم فبعث أهل كل مدينة رسالهم عن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالاً من قبلهم يجسمون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يضمنوا فأتى أهل كل مدينة رسالهم يخبرونهم بان الروم قد جموا جمعاً . فكتب ابو عبيدة الى كل وال عن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم ان يردوا عليهم ما حبي من الجزية والحراج . وكتب اليهم ان يقولوا لهم : اتا رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنكم واتا لا تقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا : ردكم الله علينا ونصرمكم عليهم فلو كانوا هم

لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً (كتاب الحراج
طبع مصر صفحة ٨ و ٨١)

فانظر الى هذا المدل الذي عجز البشر عن ايتان مثله واعترف أهل الذمة بذلك!
والى قول المؤلف ان عمر ضبط عليهم وانما ضبط لانهم كانوا من جواسيس الروم!

﴿ تاريخ العلوم الإسلامية ﴾

اما تاريخ العلوم الإسلامية والتقريظ عليها فقد قدمنا اليوم في مثلنا من يقوم بهذا
المبء فكيف برجل دخیل نینا بصانته مزجاة قلیل المدركة من علومنا الا اسماء تلقاها
من ظواهر الكتب وانواء السامة؟ فانا نكلم عن شيء منها خبط وخطط وهالك امثلة
من ذلك قال « وكان المسلمون غير العرب هناك أكثرهم الفرس وهم أهل تمدن
وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث
تخافوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد » (الجزء الثالث ص ٧١)
ظن أنرجل ان استخدام القياس والرأي من متبذعات الفرس مع ان أول من سمي
بهذا الاسم هو ربيعة الرأي صرح بتلك السمات في الانساب وهو من أول أهل
المدينة ومن أخذ عنهم الامام مالك ، وان مالك والشافعي وابا يوسف والامام
احمد رضي الله عنهم كلهم يستعملون القياس مع كونهم من العرب أرومة وموطناً وأداة
وان الفارق بين اصحاب الرأي والحديث ليس استعمال القياس - وفصل القضية في ذلك
تجده في كتاب حجة الله البالغة لثام ولي الله الدهلوي من متأخري حكماء الاسلام -
ثم قال المؤلف « فكاتب من جملة مساعي المنصور في تصفير أمر المدينة وقتائها
وخصوصاً مالك بعد أن أفتى بجامع يمته انه نصر فقهاء العراق القائمين بالقياس وكان
كبيرهم يوهئ ابا حنيفة الثمان في الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه
وعزز مذهبه » الجزء الثالث ص ٧١

ظلمات بعضها فوق بعض! ما كاتب أبو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من
مالك فان ابا حنيفة كان هوام مع ابراهيم الحارح على المنصور وكان اتقى بنصرة
ابراهيم ولذلك أراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض
به سجنه وأمر بضربه حتى مات في السجن ، أما ما قل عن تصفير أمر الامام
مالك فتخالف الروايات الصحيحة اثنية. قال الذهبي ابن عبد البر في كتاب جامع
الملم (صفحة ٦٧) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن أنس يقول. لما حج أبو

جفر التصور دعائي فدخلت عليه فحدثته وسألني فاجبته فقال : اني عزمتم ان امر بكتبك هذه التي وضعتها (يعني الموطأ) فينسخ نسخاً ثم أبعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن يعملوا بما فيها لا يتمدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث فاني رأيت أن أصل هذا العلم رواية أهل المدينة وعلمهم الخ

قال المؤلف « وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يوالي به » (الجزء الثالث صفحة ٧١ مستقداً بـ ابن خلكان) نود بالله من هذا الكذب الظاهر والحق الفاضل ! استشهد المؤلف في هذه الواقعة بـ ابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر في تاريخه في ترجمة أبي حنيفة بعد ذكره بحسنه ان الخطيب البغدادي اطال في مثالب أبي حنيفة ثم أفكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب أبو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال « ولو رماه باباقيس » ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه أقل شيء يوصي الى ان أبا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية ثم ان أبا حنيفة كان ناقماً على السياسة الحاميين للفرس وكان من شيعة زيد بن الامام زين العابدين وكان تلميذاً لحمد وهو تلميذ لابراهيم النخعي وكلهم عرب ثم أصحابه للملازمون له والناشرون لفقهاء والقائمون بدعوته أي أبا يوسف ومحمداً وزفر كلهم عرب ، أما نحن ابي حنيفة . فسلوهم انه عجمي وكم من الاعجم الذين هم رموس الادب ووجوه العربية كحماد الرواية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وعززتهم ،

فن كان هذا مبلغه من العلم ومجده من النظر هل يصلح لسلك هذا الطريق الوعر والخوض في غمار هذا البحث الدقيق الذي يحتاج الى التخصص في العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الرأي وشدة الفحص وافتراغ الجهد وتكميل الأدوات ثم ان الرجل هنا هو الرجل الذي عهدناه قبل ذلك في سوء طويته وكامن حقدته ونمامته على العرب واعتياده التعريف وعمرة بسوء التأول وتليس الكلام وهالك امثلة من هذه ،

قال (تحت عنوان الفقه) « فلما انقضى الامر الى بني العباس وأراد التصور تصفير العرب واعظام أمر الفرس لانهم انصروهم واهل دولتهم كان من جهة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرميين فبقى بناء سباه القبة الخضراء حجلاً للناس

وقطع الميرة عن الحرميين وبقية المدينة يومئذ الامام مالك الشيرفاستفتاه أهلها في أمر المنصور فافتى لهم بجمع بيته (الجزء الثالث صفحة ٧١) وهذا كله كذب واختلاق والمنصور أبعد محلا وأبرأ ساحة من ان يبني بناء ارغاماً للسكبة - وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الاحجراً - على محمد وتضييقاً عليه لما قام بالخلافة وقد صرح بذلك المقرئزي (الجزء الثاني صفحة ١٤٣) فقال : وذكر البلاذري ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد ابن عبدالله قال: نكتب الساعة الى مصر ان تقطع الميرة عن أهل الحرميين - والامام مالك كان هواء مع محمد يجرض الناس على موازرتة وافتى بجمع بيته المنصور « فانظر كيف قلب المؤلف الحكاية وصرقها عن وجهها ! فخرج محمد وافتاه الامام مالك متقدما على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب في قطع الميرة والمؤلف يقول : ان قطع الميرة انما كان ارغاماً للحرميين وان الامام مالك افتى لذلك بجمع بيته -

قال المؤلف بعدما ذكر رغبة بني أمية في الشعر وتنشيطهم للناس تحت عنوان (الشعر وبنو أمية) « وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة في الادب وتنشيطاً لاهله لان الشعر سجية في العرب ودولة الامويين عربية بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه الاستمانة بأئسنة الشعراء على مقاومة أهل البيت» الخ (الجزء الثالث صفحة ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد افانه لما لم يجد سيلا الى انكار ما لبني أمية من الايادي في ترويج سوق الادب ورفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلوات المتكاثرة للشعراء احتال لدفنه بإبداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة «

قال « وقد تقدم في كلامنا عن الفقه ان المنصور أخذ بناصر أصحاب الرأي والقياس واستقدم أبا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميل الى القياس متواصلا في بني العباس والاعتزال اقرب المذاهب الى أصحاب الرأي « الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف في جهله بالعارف الاسلامية حتى انه يقرن بين الاعتزال والرأي ويهدما من جنس واحد ولم يدرك المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والرأي والقياس احد أصول

الثقة ومعظم اصحاب الرأي والقياس بل كلهم - الا الشاذ القادر منهم - كابي حنيفة ومحمد وابي يوسف وزفر وابي لولو والطحاوي والخصاف وابي بكر الرازي والديلمي وغيرهم كانوا ناقين على الاعتزال وكانوا يمدون المعتزلة من أهل الأهواء والضلالة قال « فلما افضت الخلافية الى المأمون أخذ بناصر أشياعه وصرح بانفوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفاً من غضب الفقهاء وفي جعلها القول بجحاق القرآن اي انه غير منزل » (الجزء الثالث صفحة ١٤١)

وهل يكون كذب اعظم من هذا! فان خالق القرآن او قدمه لامساس له بالتنزيل أو عدمه فان الاختلاف في: هل الكلام صفة حادثة تقوم بالله تعالى؟ أو هو صفة قديمة؟ فالمعتزلة قالوا بحدوثه - حدوا من تعدد القدماء وأهل السنة وغيرهم قالوا بقديمه لان الحادث لا يقوم بقديم. فاما أن القرآن كلام الله تعالى منزل الى الرسول فهذا لا يختلف فيه اتان -

قال « واما الفيلسفة بجد ذاتها فقد كان اصحابها متهمين بالكفر وكان الانتساب اليهم مرادفا للانتساب الى التعطيل وقد شاع ذلك في بغداد بين العامة حتى في أيام المأمون ولذلك سباه بعضهم أمير الكافرين » (الجزء الثالث صفحة ١٧٧)

استشهد المؤلف في هذا القول بالمقوي ونحن نقبل عبارته حتى تعرف مقدار خديعة المؤلف، قال المقوي « وشخص هرثة من العراقي الى مرو سنة ٢٠١ وقيل انه انصرف بقرآن من المأمون فلبس على المأمون ... قال من نقرس ولا يمكنني امشي في محفة ... وكلم المأمون بكلام عليه ودخل معه يحيى بن عامر بن اسماعيل الخارثي فقال: السلام عليك يا أمير الكافرين، فأخذته السيوف في مجلس المأمون حتى قتل! فقال هرثة: قدمت هذه الجوس على اوليائك وانصارك؟ واتوا محمد بن صالح بن منصور فقالوا: نحن انصار دولتكم وقد خشينا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير الجوس » (المقوي صفحة ٥٤٦ و ٥٤٧) ان المأمون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسياً أسلم فقم العرب على المأمون وقالوا انك قدمت الجوس وقال له يحيى السلام عليك يا أمير الكافرين فهذا كله من السياسة لا اساس له بالفيلسفة والاعتزال وابن هرثة ويحيى بن عامر الخارثي من أهل الجند ما عرفنا الفيلسفة ولا سمعنا بها،

قال المؤلف « ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصاً في اوائله فلم يكن احدهم يستسكف من ابداء ما يخاطر له ولو كان مخالفاً لرأي الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها في

القراءة والتفسير والفقهاء وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من الفصص والقائلون بذلك المجاردة (الجزء الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة بمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تكرر ان سورة يوسف من القرآن وهم المجاردة يوهم بذلك ان المجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور القرآن كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان المجاردة وهم حماد مجرد واثنان آخران معروفين بالاحاد والزندقة والمروق من الاسلام ذكرهم ابن خلسكان والشهرستاني وغيرهما

بشائر عيسى ومحمد *

﴿ في المهدين المتيق والجديد ﴾

٢

(٥) قال ميخا ٥ : ٢ (أما أنت يا بيت لحم افراثة « وأنت » صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الازل) والذي يفهم من هذه العبارة أن الله قضى بخروجه منذ الازل وهذا لا نزاع فيه . أما اذا كانوا يفهمون منها أن خروج المسيح كان منذ الازل فهو خطأ لأنه باعتبار ناسوته ما خرج منذ الازل باعتبارهم وباعتبار لاهوته لا معنى لخروجه فان ذاته هي عين ذات الله على حسب اعتقادهم وذات الابن لم تفارق ذات الله تعالى لا أزلا وان تفارقه أبدا فاتها لا تقبل الانقسام ولا التفرق فكيف إذا يفسرون هذا اللفظ (مخارجه) ؟ ولماذا أتى جمعا لا مفردا ؟ والذي يدل ذلك على صحة تفسيرنا - أن المراد خروجه في علم الله وقضائه أزلا - قول سفر الرؤيا ١٣ : ٨ كما في الترجمة الانكليزية (في سفر حياة الحروف الذي ذبح منذ تأسيس العالم) والمراد به عندهم صلب المسيح الذي وقع في عهد يولاطس لا منذ تأسيس العالم وإنما